

جلس صلاح الدين شاردا بعد انتصار حطين هل تعرف فيم كان يفكر؟



السبت 5 أغسطس 2023 02:32 م

جلس صلاح الدين الأيوبي على شاطئ البحر ينظر بعيدا بعدما منَّ الله عليه بتحرير القدس وانتصار حطين هل فقطع عليه قائد جيشه هذا الشرود وقال له:

فيم تفكر أيها السلطان؟

قال: أفكر في أن أخوض هذا البحر حتى أعيره، ثم لا أترك وراءه أحدا لا يعبد الله إلا عُدته الله!!

تخيلت وأنا أقرأ أول القصة أن الرجل يريد أن يستريح... لا سيما بعد كل هذه السنوات الطويلة التي قضاها في تحرير مصر من العبيدين، ثم في رد غوائل الصليبيين عنها، ثم ما كان من معاركه في طريق تحرير القدس في يافا ومرج عيون وغيرها، ثم ما كان من أمر حصاره لصفد وعكا والكرك وصور، وانتهاء بحطين وما أدراك ما حطين!!

لذلك تخيلت أن الرجل ينشد الراحة بعد كل ما صنع...

لكنني وجدت أن أصحاب الهمم أمثاله كأنما يشربون ماء مالحة، كلما حققوا نصرا تعطشوا لغيره، حتى تنقضي الحياة ولما يرتووا بعد!! وهم مع ذلك يستقلون فعلهم، ويحتقرون إنجازهم ... كما قال الله تعالى:

"والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة"

انظر إلى عمر رضي الله عنه وهو يُقَدَّى ويحتضر، وابن عباس عند رأسه يدكِّره بحسن صنيعه ويقول:

مَضَّرَ اللهُ بك الأمصار ، وفتح بك الفتوح ، وفعل، وفعل... ..

فقال عمر: المغرور من غرمتوه... وددت أني أنجو لا أجر ولا وزر....

ثم قال لابنه : ويحك ضع خدي على الأرض، عساه أن يرحمني، ويل أُمي ، إن لم يغفر لي (ثلاثا) ، ثم قضي، رضي الله عنه هل

ويكأن الذين يعطون كثيرا يزداد شعورهم بالتقصير... كأنما يرون حياتهم بئرا، ويراه الناس بحرا!!

بينما تمتلئ حياة بعضنا بسفاسف الأمور حتى توشك أن تنتهي بين مواقع التواصل، ومواقع النوم، ثم يلقي الله تعالى ولما يختم كتاب الله حفظا، أو يهتد على يديه مهتد، أو ينفع المسلمين بشيء من مواهبه، ثم لا يشعر بغش ما شعر به عمر أو صلاح الدين من التقصير... كأنما يرى حياته كالبهر، وهي لا تعدو ملاء قدر!!

لا بد من شعور يعترينا بأن هناك ما ينبغي فعله من هدايات الخلق، وإصلاح الكون، يواكبه شعور بالتقصير الدافع لا المقنط أو الميئس، لأن المهمة أولها هم، وآخرها فعل هل

أعرف أصحابا ينامون يحملون بزوغ الفجر ليستأنفوا عملهم الذي ناموا عليه من تزويج بنات الجار، أو إصلاح ذات البين، أو تعليم صبية الحي، أو السعي لقضاء دين، أو إيقاظ غافل، ودلالة ضال ، ثم إذا أُنيت على صنيعهم بكوا متعللين بفرغ صحائفهم، وقلة عملهم، وحياتها من ربهم...

بينما أعرف غيرهم أكثر موهبة، وأوفر صحة، ومالا، وأوسع وقتا، ثم هم أقل عملا وندما...

وحين تذكرهم بحق الله في الأعمار والمواهب والإمكانات انتفخت الأوداج، وحضرت العلل!!

إن أمتنا أزوج ما تكون إلى صنيع صلاح الدين الميداني مع خجله من التقصير القلبي، حتى يقطع طريق إصلاحه الطويل في نهم ودأب... وإلا فما أكثر أصحاب الأصوات الزاعقة والأعمار الفارغة!!

وبينما أقرأ في كتاب الله وجدت هذا المعنى ماثوتا في الآيات، وإن لم يلتفت إليه بعضنا: مثل قوله تعالى:

"وبالأسحار هم يستغفرون"

يقول علماءنا:

سبحان الله!! قاموا في الأسحار، وكابدوا النوم ودفء الفراش، ثم إنهم يشعرون بالتقصير فيستغفرون!!

إن خجلة المؤمن لمن عوامل بذله، وإن رضاه عن نفسه لمن أسباب ضياع عمره...

وإن حال أمتنا والله ليحتاج إلى ألف ألف عامل خجول، أكثر من حاجتنا إلى ذلك الكم الهائل من هذا الخمول القوول!! فعجلوا بتسجيل أسمائكم إخوتي في أهل النوع الأول، لأن الأعمار لم تُمنح إلا لذلك هل

